مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 50 السّنة: الثّلاثيّ الثّاني 2020 ص: 441 - 470

جهود الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في إحياء تدريس اللغة العربيّة بتلمسان 1932-1947م

The efforts of Sheikh Mohammed Al-Bashir Ibrahimi in the revival of teaching Arabic language in Tlemcen 1932-1947

عبد الرّحمان بن بوزيان[1]

تاريخ الإرسال: 02 03 2019 تاريخ القبول:17 10 2019

الملخّص: هي كثيرة الكتابات التّاريخيّة التي تناولت شخصيّة محمّد البشير الإبراهيمي وفي مختلف النّواحي، في الدّين والفكر والثّقافة والأدب والشّعر وحتى السّياسة، فهو مجموعة من المواهب والعبقريات، عاش من أجل الدّفاع عن الإسلام الحق والنّهوض باللّغة العربيّة في الجزائر.

وعلى أساس ذلك جاء هذا المقال ليتناول جانبا من جوانب جهاده الطّويل في ميدان خطير، يشكل وحده عالما خصبا، يمكن أن توضع فيه دراسات عديدة، ألا وهو جهاده من أجل إحياء اللغة العربيّة، ونشرها وازدهارها من خلال الدّروس التي قدمها بتلمسان طيلة خمس عشرة سنة من العطاء للتعليم.

كلمات مفتاحيّة: البشير الإبراهيمي؛ اللغة العربيّة؛ تلمسان؛ تدريس.

Abstract: So many are the historical writings that approached the personality of Muhammad El-Bachir El-Ibrahimi from different aspects: religion, thought, culture, literature, poem, and even in politics. El-Ibrahimi

[1] جامعة 20 أوت 1955/سكيكدة، الجزائر، البريد الإلكتروني: Rahmane1402@hotmail.fr

is a set of talents and geniuses. He lived in the sake of defending the true Islam, and for the revival of the Arabic language in Algeria. On this basis, this article is established to approach one of many aspects of his long struggle in a critical field that constitutes itself a fertile world on which many studies may be established' this field is his struggle for the revival of the Arabic language and its spread and prosperity through his lessons given in Tlemcen during fifteen years of teaching.

Keywords: El-Bachir El-Ibrahimi; the Arabic language; Teaching; Tlemcen.

1. مقدّمة : عرفت اللغة العربيّة محنتها في الجزائر بالغزو الفرنسي الصّليبي يوم 5 جويليّة 1830، فمنذ ذلك اليوم والحرب معلنة على اللّغة العربيّة في الجزائر، أين تم الإعلان عن موتها، وبعودة اللاتينيّة إلى سابق عهدها في الجزائر، كما كانت عليه في العصور الرّومانيّة أيام الاحتلال الرّوماني، ولكن هذا لا يعني استغناء الفرنسيين عن اللغة العربيّة، فقد فهموا أن حاجتهم الإداريّة والاجتماعيّة لا يمكن إنجازها إلا باستعمال هذه اللغة، لذلك وقع اشتغالهم فيها على محورين: المحور الأول إهمال تدريسها في المدارس القديمة من خلال قطع مصادر الوقف عنها، والمحور الثّاني: الاكتفاء بتدريس العربيّة الدّارجة عن طريق المستشرقين، وفي هذا النّطاق اهتم المستشرقون كثيرا بدراسة اللهجات المحليّة في الجزائر على حساب اللغة العربيّة لا لشيء إلا لحاجتهم فهم الشّعب الجزائري وتطبيق سياسة فرّق تسد الاستعماريّة.

1- واقع تدريس اللغة العربيّة بتلمسان على عهد الاحتلال: كتب الرّحالة الألماني "فيلهلم شيمبر" بعدما زار الجزائر سنة 1831، معبرا عن الوضع الثّقافي والتّعليمي بقوله: " لقد بحثت عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة

والكتابة، غير أنّي لم أعثر عليه في حين أنّي وجدت ذلك في بلدان جنوب أوربا.."[1].

تؤكد الكتابات التّاريخيّة حول تلمسان قبيل هذه الفترة على ازدهار الحياة العلميّة والثّقافيّة بها قبيل الاحتلال، وبالخصوص التّعليم الابتدائي، فالمساجد والكتاتيب والمدارس والزّوايا كانت منتشرة في ربوع تلمسان،[2] فأحد التّقارير الصّادرة عن الفرنسيين سنة 1939 أي قبل احتلالها الثّاني 1842، يقول أن بها عددا كبيرا من المساجد،[3] وقد أكد على ذلك أيضا أبو حامد المشرفي الذي زار تلمسان بعد احتلالها،[4] إذ يقول:.."إنّ بها نحو ثلاثين مسجدا غير الجامع الكبير."،[5] وبخصوص الوضع التّعليمي بكامل مقاطعة تلمسان Subdivision de Tlemcen يذكر لاموريسيير La Morciére[6] في تقرير له أنه في المدينة التي تحتوي على12- 14ألف نسمة، هناك 3 ثانويات و50 مدرسة، وفي المقاطعة كان هناك لحوالي 125000 نسمة، و30 زاويّة مشهورة أهمها زاويّة سيدي بومدين،[7] والتي كانت تضم 25 تلميذا فقط عام 1952 وهو عدد قليل جدا، فالتّعليم كان آنذاك متاحا للجميع ، حيث كانت توجد في كل دوار مدرسة، وفي كل مدرسة مكتبة خصّة، وحتى طلبة العلم صارت وجهتهم المغرب الأقصى، وخصّة إلى فاس أين استقر العديد منهم هناك،[8] وتفيد بعض الوثائق بغنى منطقة تلمسان ثقافيا وعلميا والتي ظلت عليه ما بين فترتي الخمسينات والسّبعينات من القرن التّاسع عشر وتحليل أحد الجداول الرّسميّة عن الحالة الثّقافيّة والعلميّة عن مقاطعة تلمسان مع منتصف سنة 1854- باستثناء مدينة تلمسان- يؤكد ذلك:

- بلغ عدد القبائل التي حافظت على مدارسها العربيّة القرآنيّة ووظفت معلمين –الطّلبة- للصبيّة والطّلبة بلغ 56 قبيلة وعرش.
- بلغ عدد التّلاميذ والطّلبة بدائرة تلمسان وحدها حوالي 367.

- عدد الطّلبة المتخرجين ليباشروا بدورهم التّدريس بلغ 91 طالبا في كل من نواحي الغزوات ومغنيةMarnia، وسبدوSebdou.

- إنّ مواد التّلقين والحفظ والدّراسة كانت باللغة العربيّة، وارتكزت على حفظ القرآن الكريم وتقديم شروح له، واللغة والنّحو، والفقه وأصوله وعلم الميراث.(9)

لتجسيد ذلك تأسست مدرسة الآداب العليا بالجزائر، وهي أيضا مدرسة الاستشراق الفرنسي بالجزائر، أشرف عليها عدة مستشرقين أمثال هوداس، رينيه باصيه، وقد كتبوا عن تلمسان عدة دراسات، تخصص فيها كل من ماشويل وديلفان ومولييراس، وألفريد بال، ويليام وجورج مارسي، جل هذه الكتابات حاولت ربط تاريخ تلمسان الرّوماني القديم مباشرة بالتّاريخ الاستعماري الفرنسي.[10]

2- بعض مظاهر السّياسيّة الفرنسيّة الرّاميّة لمحاربة اللغة العربيّة: لم يقف التّجهيل عند هذا الحد بل تعداه إلى التّدخل في مناهج التّعليم وطرقه، فحظر على الكتاتيب تدريس كتب اللغة العربيّة كالأجروميّة وألفيّة ابن مالك إلى جانب حفظ القرآن، بل إنها منعت التّفسير كذلك.[11]

لقد عمد الاستعمار الفرنسي منذ الوهلة الأولى إلى تدمير اللغة العربيّة في الجزائر،[12] وقد كتب الدّوق روفيغو duc de Rovigo عن أهداف السّياسة التّعليميّة الاستعماريّة الفرنسيّة في الجزائر قائلا": لن تصبح الجزائر مستعمرة فرنسيّة إلا عندما تصير لغتنا هي اللغة السّائدة وتتأقلم فنوننا وعلومنا...ولا يمكننا التّشكيك في ذكاء العرب فالتّاريخ شاهد على ذلك. إن المعجزة الحقيقيّة التي يجب تحقيقها، هي تحويل بخطى بطيئة اللغة الفرنسيّة محمل اللغة العربيّة، خصّة إذا ما أقبل الجيل الجديد على التّعليم جماعات"،[13] فبعد تخريبه للمدارس والكتاتيب، أجهز على ما تبقى من أثر للغة العربيّة من خلال

تجريد الجزائريين من وسائل الاستمرار، أين ألغت الأوقاف الإسلاميّة التي كانت تعتمد عليها المدارس بقرار صدر بتاريخ 28 مارس 1843.[14]

لا يمكن الوقوف على أثار السّياسة التّعليميّة الفرنسيّة بالجزائر كلها وتحليلها بشكل دقيق، غير أنني سأكتفي هنا بإعطاء بعض الملامح التّصويريّة البارزة، حيث يصور محمّد فريد الذي زار الجزائر عام 1901 حالة التّعليم بالجزائر مع مطلع القرن الماضي فيقول: "إنّ حالة التّعليم في الجزائر سيئة جدا ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسيّة محل اللغة العربيّة في جميع المعاملات"، ويضيف قائلا: " هجرت ربوع العلم وخربت دور الكتب وصارت الدّيار مرتعا للجهل والجهلاء" وعن حال اللغة العربيّة فيقول: "أصبحت اللغة الفرنساويّة هي لغة التّخاطب في العواصم مثل وهران، وقسنطينة، وعنابة وغيرها"[15].

يقدّم لنا توفيق المدني وصفا دقيقا عن غايّة هذا التّعليم الفرنسي[16]، حيث يقول: "بل كان المقصد منها حسب اعترافات كبار رجال السّياسة والأساتذة تقريب الجزائريين من فرنسا بواسطة تعليمهم لغة الدّولة المحتلة، وآدابها وعلومها، حتى يسهل ابتلاعهم، ويسهل إدماجهم.."[17]، هكذا إذن كانت نيّة الفرنسيين منذ الوهلة الأولى، فاللغة العربيّة حوربت بمختلف الأساليب والمضايقات الإداريّة، وكان الهدف من هذه الحرب التي شنها الاحتلال الفرنسي "على اللغة العربيّة طوال قرن وثلث قرن، هو القضاء عليها تمهيدا للقضاء على الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، وبالتّالي القضاء على الشّخصيّة الجزائريّة[18].

رغم التّدميرين المادي والثّقافي الذي آلت إليه الجزائر إبّان الاحتلال إلا أن ذلك لم يمنع إشراقة علماء جزائريين في ميدان اللغة، وجدوا من الخارج منفذا للبزوغ والنّهل من بحرها العميق، وهنا أقف أمام شخصيات عدة أمثال الشّيخ محمّد بن عبد الرّحمان الدّيسي، وعبد القادر المجاوي التّلمساني، وعبد الحليم بن سمايّة، والشّيخ طاهر الجزائري الذي أنشأ المكتبة الظّاهريّة بدمشق، وكانت

له بذلك مساهمته المباشرة في تأسيس مجمع اللغة العربيّة في دمشق سنة 1919.[19]

وقد عرفت تلمسان مع مطلع ثلاثينيات القرن الماضي استقرار الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي، فخر علماء الجزائر، أين لبث فيها خمس عشرة سنة، ظهرت فيها أعماله الجليلة وآثاره العظيمة، في سبيل النّهوض باللغة العربيّة وإعادة إحيائها وإرجاع مجدها الضّائع.

3- التّعريف بالشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي: ولد محمّد البشير الإبراهيمي يوم 14 جوان 1889 في قريّة سيدي عبد الله من عشيرة أولاد إبراهيم في نواحي مدينة سطيف بعمالة قسنطينة، تلقى تعليمه الأول على يد والدّه إبراهيم وعمه، وفي سنة 1911 غادر الجزائر مع أغلب الشّباب الجزائري الذين كانوا لا يريدون تأديّة الخدمة العسكريّة الإجباريّة وفي طريقه مر بالقاهرة، فتعرف على بعض أدبائها ومفكريها، وفي المدينة المنورة تابع تعليمه الدّيني والأدبي وخلال وجوده بهذا البلد التّقى بابن باديس فتطرقا لفكرة الحركة الإصلاحيّة في الجزائر.[20]

وفي سنة 1916 سافر الإبراهيمي إلى دمشق حيث اشتغل بالتّدريس في المدرسة السّلطانيّة، وألقى دروسا ومواعظ في المسجد الأموي، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1920 وعمل في التّجارة فلم يوفق فيها، ولما انتقل إلى سطيف قام بالاتصال بالشّيخ ابن باديس سنة 1924، فعرض هذا الأخير عليه تأسيس جمعيّة "الإخاء العلمي"، حيث يقول الشّيخ البشير الإبراهيمي عن هذه الجمعيّة: " لم تري النّور لأنها فكرة طائرة وخطيرة عارضة لم ينضج الاستعداد لها".[21]

ونجد أن الشّيخ الإبراهيمي قد اتخذ مدينة سطيف مركزا لنشاطه الإصلاحي، بدعوة الأهالي إلى إقامة مسجد حر، يعطي فيه الشّيخ الدّروس العلميّة دون مضايقة من الإدارة الفرنسيّة، التي كانت تشرف على المساجد في

الجزائر، وعند تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 انتخب نائبا للرئيس عبد الحميد بن باديس، ثم استقر سنة 1932 بمدينة تلمسان فاستطاع بفضل إخلاصه وتفانيه في العمل المتواصل أن يؤسس دار الحديث التي تشمل على مدرسة للتعليم، ومسجد للصلاة، وقاعة للمحاضرات. فكانت مفخرة للجمعيّة بصفة عامة، ومدينة تلمسان بصفة خصّة.(22)

كما ألقى بها الشّيخ البشير الإبراهيمي عدة دروس وخطب مختلفة منذ افتتاحها فكان من أبرز تلاميذه:" الأستاذ أحمد بري- صاحب كتاب "نظام علاقة الأحياء بالأموات في الشّريعة الإسلاميّة"، الدّكتور بومدين الشّافعي،(23) وهو أول جزائري ينال الدّكتوراه في المشرق العربي بمصر، فضلا عن الأستاذ محمّد باب أحمد الذي تولى مهمة إدارة دار الحديث، ومن تلامذته الذين صاروا معلمين بهذه المدرسة: مولاي الحسن القادري، المختار الصّبان، عبد الله بوعنان، أحمد الشّاوي وملوكة محمّد، الجيلالي حجاج، جلول البارودي ... ومن تلميذاته اللائي أصبحن معلمات بها: زليخة القراري وأختها خيرة فتيحة مراد، رشيدة بن ديمراد، رشيدة خلدون، ربيعة بن الحبيب، زهيّة عبورة، يمينة حميدو،..."(24).

وفي أوائل أفريل 1941 قامت السّلطات الفرنسيّة بنفيه إلى قريّة آفلو، التي بقي بها مدة ثلاث سنوات، حيث انتخب رئيسا لجمعيّة العلماء المسلمين بعد وفاة ابن باديس مباشرة سنة 1940، ثم أطلق سراحه سنة 1941 ولكنه ما لبث أن اعتقل في يوم 13 ماي 1945 بعد مجازر8 ماي، فاستمر سجن الشّيخ الإبراهيمي مع عدد من أعضاء جمعيّة العلماء والأحزاب الوطنيّة حتى شهر مارس 1946 حيث أفرج عنهم بموجب عفو عام.(25)

ونجد أنّ طريقة الإبراهيمي في الكتابة والتّعليم تختلف عن طريقة ابن باديس، وهذه الطّريقة برزت بشكل واضح بعد أن عادت جريدة البصائر إلى

الصّدور سنة 1947 فالشّيخ ابن باديس كان يلجأ في كثير من مقالاته إلى الاستعارة والكنايّة، وينتقي كلماته بحرص شديد خوفا على مصير الجمعيّة أما الشّيخ الإبراهيمي فقد استعمل العبارات الصّريحة الموجهة للاستعمار وعملائه من جهة، وخصومه السّياسيين الوطنيين من جهة أخرى.

كما أنه في عهد الشّيخ الإبراهيمي أنشئ معهد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة سنة 1947 وفي سنة 1952 سافر إلى باكستان للمشاركة في المؤتمر الإسلامي المنعقد "بكراتشي"، ثم تجول في العالم العربي والإسلامي، وزار معظم العواصم العربيّة، يعرّف بحركة الإصلاح في الجزائر واضطهاد الاستعمار لنشاط الجمعيّة.(26)

ولما قامت الثّورة التّحريريّة في نوفمبر 1954 وكان الشّيخ الإبراهيمي آنذاك في مصر" فأصدر بيانا في نوفمبر 54 يعلن فيه تأييده للثورة حيق يتبيت له بأن الثّورة عميقة الجذور وهي ثابتة في نضالها"،(27) ممّا أدى به إلى الدّفاع عن الثّورة التّحريريّة، إلى أن استقلت الجزائر في05 جويليّة 1962، حيث أمضى بها ما يقارب ثلاث سنوات معتقدا بأن الحركة الإصلاحيّة السّلفيّة التي قامت في عهد الاستعمار، يجب أن تكون في الجزائر الحديثة.

توفي الشّيخ الإبراهيمي يوم الخميس 20 ماي 1965 ودفن في مقبرة سيدي محمّد بالجزائر العاصمة، ومن آثاره الفكريّة المطبوعة " عيون البصائر" وهي مجموعة المقالات التي كتبها في افتتاحيات جريدة البصائر في سلسلتها الثّانيّة ابتداء من سنة 1947، وهناك مخطوطات لم تنشر تتعلق بالشّؤون اللغويّة والأدبيّة منها: " أسرار الضّمائر العربيّة"

" التّسميّة بالمصدر، الاطراد والشّذود في اللغة...".(28)

4- قراءة في جهود الشّيخ البشير الإبراهيمي في إحياء دروس اللغة العربيّة بتلمسان: كم هي كثيرة الكتابات التي تناولت شخصيّة محمّد البشير

الإبراهيمي وفي مختلف النّواحي، في الدّين والفكر والثّقافة والأدب والشّعر وحتى السّياسة، وأنا هنا لست بصدد التّطرق إلى نشاطه في ميدان السّياسة والإصلاح والصّحافة، ولكن يعنينا جهوده في إحياء اللغة العربيّة.[29]

لقد كان الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي أديبا فذا، قلما أنجبت الجزائر مثله في العقود الأخيرة، فهو وحيد زمانه، تمتع بحافظة نادرة، وحب للأدب العربي القديم فنهل من حياضه ما شاءت نفسه وطموحه، حفظ دواوين الشّعر ومتون اللغة وخزائن الأدب والشّواهد، فقد بهر المعاصرين في المشرق والمغرب بقوة حفظه واستحضاره ذخائر التّراث، وقد ظهر ذلك على لسانه وقلمه، ولم يؤلف الكتب، لأن وقته كان مكرسا كما قال، لتكوين الرّجال.[30]

وعن اهتمام الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي باللغة العربيّة فقد بين مكانتها بقوله:" اللغة العربيّة هي لغة الإسلام الرّسميّة ولهذه اللغة على الأمة حقان أكيدان...أحدهما أنها لغة دين الأمة...وحق ثان أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربيّة الجنس ففي المحافظة عليها محافظة على جنس ودين معا".[31]

يصف لنا أحمد توفيق المدني في كتابه حياة كفاح إلمام الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بمختلف مجالات العلم، بأن الشّيخ: "..كان المعلم، وكان الصّحفي، وكان الكاتب، وكان الخطيب، وكان الباني، وكان المبشر، وكان والله كل شيء..".[32]

وخوفا مما كانت تحدثه المدرسة الفرنسيّة في تغيير الذّهنيّة الجزائريّة، عمل الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي على تشجيع الجزائريين على التّنافس لبناء المدارس العربيّة الحرة، من أجل استرجاع مقومات الأمة الإسلاميّة، لأن المدرسة كما يمكن أن تكون عامل بناء ودعم لكيان الشّخصيّة القوميّة للجماعة، يمكنها أن تكون عكس ذلك عامل هدم وتقويض لمقومات الشّخصيّة على حد تعبير الشّيخ الإبراهيمي "..المدرسة جنة الدّنيا، والأمة التي لا تبنى لها المدارس تبنى لها السّجون..".[33]

تماشيا مع الرّقابة التي وضعتها الإدارة الاستعماريّة لتنقلات العلماء المصلحين الذين أحدثوا نهضة ثقافيّة وفكريّة، وجه رئيس بلديّة ندرومة المختلطة"Sept" إلى والي وهران يشير فيها إلى عوامل نجاح السّياسة التّعليميّة للعلماء وإخفاق فرنسا يرجع بالأساس إلى "عدم قدرتنا على بناء مؤسسات تعليميّة، وتوفير المعلمين كما وعدناهم منذ سنوات". [34]

بعد تفطّن الإدارة الاستعماريّة إلى الدّور الهام الذي كان يلعبه التّعليم في إيقاظ الشّعور الوطني، والذي يعتبر وسيلة أساسيّة في ترسيخ عناصر المقاومة بمختلف أشكالها في نفوس الجزائريين، [35] وعملا بتصريحات السّاسة الفرنسيين منذ الاحتلال والتي جاء في أحدها:"...علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حطمت لغتنا الجزائر، فقد حكمناها حقيقة..."، وقد كان ساسة فرنسا يعملون بمبدأ بناء مدرسة أفضل من فيلقين لإقرار الأمن،وبينما كان الطّمس والهدم يلحق بالمدارس التي كانت موجودة آنذاك، مثلما لحق بالمسجد الجامعة "التّاشفينيّة" بتلمسان عام 1873، عمدت جمعيّة العلماء المسلمين بقيادة عبدالحميد بن باديس ونائبه محمّد البشير الإبراهيمي إلى بناء العديد من المدارس والمساجد، وتأسيس العديد من الصّحف والنّوادي، والقيام بالعديد من دروس الوعظ والإرشاد لتثبيت بقاء اللغة العربيّة. [36]

ولتجسيد مشروع نهضة الجزائر كان للشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي الأثر البالغ في بناء مدرسة دار الحديث بتلمسان سنة 1937م، [37] إذ لقبت بـ'مدرسة الإبراهيمي'، ويذكر أن الشّيخ كان يلقي في اليوم الواحد عشرة دروس، [38] ويعطي فيها اهتماما كبيرا باللغة العربيّة، حيث يقول في موضوع تجربته لإحيائها بتلمسان:" ولقد بدأت دروسي ومحاضراتي في تلمسان بالعربيّة الفصحى وأخذت نفسي بذلك أخذا أصيلا فيه إلى درجة الإغراب أحيانا وكان من وراء الالتّزام غرضان: أحدهما إقامة الدّليل للمتعلمين باللغات الأجنبيّة

على أن الفصحى لا تعني بحمل المعاني مهما تنوعت وعلت، وأنها تمد اللغات في ميدان التّعبير عن الحقائق والخيالات والخواطر والتّصورات. وقد بلغت من هذا الغرض ما أريد. والغرض الثّاني أن أحدث في نفوس العامة المحبين للعلم والدّين أسفا يقصي مضاجعهم فيدعوهم إلى تدارك ما فاتهم منها في أبنائهم وكنت أرى من عامة السّامعين حسن إصغاء ينبئ باهتمام عميق فأتى أوله على أنه تأثر بالآيات و الأحاديث التي يكثر ترددها في الدّرس ..، والتّأثر بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم طبيعي في المسلم، وكم كنت أخشى أن ينفضوا من حولي يوما لعدم فهم ما يسمعون لولا أنني آوي إلى ركن شديد من كلام الله ورسوله. وما زلنا على هذا حتى فعل المران فعله، وأصبحوا يفهمون ويتذوقون ويخرجون وهم يتدارسون.". [39]

يقول الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في افتتاحيّة جريدة البصائر الإصلاحيّة: "..وأما الحقيقة فهي أن الوطن عربي وأن القبائل مسلمون عرب كتابهم القرآن يقرؤونه بالعربيّة، ويكتبونه بالعربيّة، ولا يرضون بدينهم ولا بلغته بديلا، ولكن الظّالمين لا يعقلون.". [40]

وقد حمل الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي على عاتقه بمدرسة دار الحديث بتلمسان مهمة إلقاء دروس الموطأ بعد صلاة الفجر، ودروسا في الفقه ابتداء من الرّابعة بعد الظّهر، [41] ودروس التّفسير بعد الغروب بالمسجد، [42] هذه الدّروس التي كانت تحضرها فئات متنوعة من العلماء المصلحين والوطنيين من حزب الشّعب الجزائري، وحتى التّلاميذ والمدرسين من الثّانويّة الفرنسيّة الإسلاميّة المجاورة، [43] كما أصبح مكانا لاستقبال وفود الوعظ والإرشاد، فالدّروس كانت تنظم ليلا ما بين سا20 وسا23، وكان الحضور يصل أحيانا إلى 300شخص. [44]

إن المتتبع لكتابات الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي يجده فارسا في المقاومة عن لغته ولغة أجداده، فكان لا يرضى بالسّكوت عن مواجهة أعدائها الفرنسيين والجزائريين المفرنسين، وقد طالب في العديد من المواقف بعدم إدخال اللغة في الصّراعات الحزبيّة داخل الحركة الوطنيّة الجزائريّة، لأنه يرى "أن التّعليم عند الأمم التي عرفت الحياة معدود في المقومات التي هي رأس مال الوطن، ورأس المال يسمو عن الحزبيات." [45]

إن العروبة التي دعا إليها الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي ليست عرقيّة ولا عنصريّة، بل هي عروبة لغة وثقافة، وجوهرها اللسان العربي، وهو الذي نزل به القرآن الكريم في قوله ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾. [46]

كانت الإدارة الاستعماريّة ترى أن بقاء أبناء الجزائر في الشّارع دون دراسة خير من تعليمهم، بل أخذت في مضايقة معلمي المدارس، ومنعهم من التّدريس، [47] وفي هذا الموضوع يقول البشير الابراهيمي:" إن الحكومة ترى أن بقاء أبنائها في الأزقة معرضين للشر والفساد خير من تعليمها إياهم تعليما عربيا وإسلاميا، فلما صممنا على أداء الواجب علينا لديننا وأمتنا صممت على المعاكسة والتّضييق". [48]

وتذكر التّقارير الفرنسيّة أن الشّيخ الإبراهيمي كان يقدم خلال شهر رمضان درسه بعد السّابعة مساء، [49] وقد كانت تضم حلقة التّدريس ما بين 100 إلى 150 شخصا من البالغين. [50]

لقد أدرك الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي الأهميّة العميقة للغة العربيّة وأنها عنوان الهويّة، ووعاء الفكر، وأداة التّواصل، ولسان الدّين الحنيف، بقرآنه وسنته وتراثه، وحضارته، وعن فضلها على الشّعوب الإسلاميّة حيث ذكر بأنها فتحتهم على مختلف الحضارات الإنسانيّة، فكانت على حد قوله سببا في تقارب

تفكير الأمم وتشابه عقلياتهم، وتمازج أذواقهم وتوحيد مشاربهم، ولولا العربيّة لاختلفت الأمم الإسلاميّة في فهم حقائق الدّين باختلاف العقليات الجنسيّة.[51]

ويتحدث عزالدّين إبراهيم –المستشار الثّقافي بديوان رئيس الإمارات العربيّة المتحدة- عن قوة اللغة العربيّة التي كان يستعملها الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في أحد محاضراته بمصر: "..لكن الذي استوقفني حينما استمعت إليه هو اقتداره العجيب على استخدام البديع ارتجالا ودون تعسف، ودون افتعال وخصّة الجناس".[52]

لقد نجح الشّيخ البشير الإبراهيمي في التّقريب بين المتعلمين بالعربيّة بتلمسان الذين كان أغلبهم من طلبته، وخريجي المدارس والجامعات الفرنسيّة وإذا كان بعض هؤلاء يتفادون لقاءه والاتصال به خشيّة بطش السّلطات، فإن أحمد طالب الإبراهيمي يقول في ذلك: "أن أغلبهم كانوا يتقربون إليه، إما بالحضور علنا في محاضراته أو بالإسهام بحذر في الجمعيّة التي أسسها لتسيير "دار الحديث"، وكان من بين هؤلاء أطباء، مثل علال ومرابط، وصيادلة مثل بن عليوة وتريكي، وأطباء أسنان، مثل بريكسي ومصلي، ومهندسون معماريون مثل عبد الرّحمان بوشامة، ومحامون مثل عمر بوكلي حسن، وقد ذهب بعضهم إلى حد النّضال النّشيط في صفوف جمعيّة العلماء، مثل البروفيسور عبد القادر محداد.".[53]

وعن دور التّعليم المدرسي الذي ترقى به الأمم يقول الشّيخ الإبراهيمي في ذلك: " ويدخل في باب التّعليم المدرسي وقراءة القرآن الكريم فهو سلاحها الذي به تناضل وعلى الدّعوة إليه بنت مبدأها الإصلاحي، ومن فروع هذا النّوع تعليم الأميين من الكبار، وهو من أهم فروع التّعليم في نظر الجمعيّة، وأما المحاضرات التّهذيبيّة فأسلوبها يرتكز على الخطابات المؤثرة في العقول".[54]

تفعيلا للمقابلة التي جمعت بين الشّيخ الإبراهيمي ونائب الوالي بتلمسان في بدايّة شهر ماي 1943 بدأت الدّروس بمدرسة دار الحديث، وقد نظم التّعليم بإشراف سبعة (07) من الأساتذة يقدمون دروس أغلبها في اللغة العربيّة والدّين الإسلامي. [55]

فتح خلال الفترة ما بين سنة 1943 و1945 [56] قسم خاص ذو مستوى عالي يدرسه الشّيخ البشير الإبراهيمي بعد صلاة المغرب، [57] وكان من بين طلبته: البشير بن شعبان، وعبد الله بوعنان، ومحمّد الهادي بختي، وعبدو بريكسي، وأمين بريكسي ومحمّد دالي يوسف، ومولاي الحسن رحمون، ومختار الصّبان، ومحمّد شيعلي، وعبد الغني السّقال، [58] ومن بين أهم المواد المدرسة هي تفسير القرآن الكريم، والحديث الشّريف، [59] وتعليم اللغة العربيّة، والفقه والشّعر، والبيان والعروض. [60]

لقد حرص الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي على تطوير التّعليم العربي الحر وقد وضع تصورا للتعليم الذي تريده الأمة، والمدرسة التي يتطلع إليها ويقول عن ذلك: "والأمة تريد تعليما عربيا يساير العصر وقوته ونظامه، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء، وتحمله نذر الموت"، [61] ويظهر ذلك الحرص من خلال رسالة وجهها إلى محمّد الغسيري [62] يعاتب فيها تقصيره في حق التّعليم في 29 أكتوبر1944، وجاء فيها:" إن مستغانم وهي في قلق عظيم وأنا في قلق أعظم، وإن بسكرة عاكستني معاكسة تؤدي إلى سقوط قيمتي في عمالة وهران وسقوط قيمة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وأن غليزان تنتظر أكثر من أختها. كذلك القول في الحمري ووهران وتيارت وحتى تلمسان...، يا ولدي إذا دام هذا الحال فعلى جمعيّة العلماء... بلغ هذا الكلام إلى بوشمال والشّيخ العربي التّبسي ومحمّد خيرالدّين. إني في تعب عظيم من الجولات والتّرهيب والعمل المتواصل لإحضار البرامج ليلا ونهارا منذ أكثر من شهر وكلكم لم

تعينوني بشيء، وقد أحضرت كل شيء، ولكنني فشلت لا لشيء إلا لتراخيكم، وعدم تقديركم للموقف الذي أنا فيه.

طلبت الرّخصة إلى الجزائر وإلى قسنطينة ولي عشرون يوما وأنا في الانتظار، [63] ولي رجاء قوي في زيارتكم هذه الأيام.". [64]

ألقى الشّيخ البشير الإبراهيمي عدة دروس وخطب مختلفة منذ افتتاح دار الحديث حتى لقبت بمدرسة الإبراهيمي، [65] ويقول عنه تلميذه الأستاذ أحمد بري [66] الذي انضم إلى الدّروس العلميّة التي كان يقدمها الشّيخ الإبراهيمي لطلبته بدار الحديث سنة 1938، أن عدد الدّروس التي كان يقدمها هو اثنا عشر درسا، وهذه الدّروس هي:

1- البيقونيّة في الأصول قبل صلاة الصّبح؛
2- موطأ الإمام مالك إثر صلاة الصّبح؛
3- المفرد العلم في رسم القلم؛
4- القواعد 'قطر النّدى؛
5- التّاريخ الإسلامي العام؛
6- تحفة ابن عاصم؛
7- المعلقات السّبع؛
8- البلاغة 'الجوهر المكنون؛
9- مقتطفات من الأدب العربي؛
10- نسي هذه المادة؛
11- التّفسير بين العشاءين؛
12- النّحو الواضح بعد صلاة العشاء. [67]

تذكر المصادر التّاريخيّة أن عدد الطّلبة الذين كانوا يتلقون هذه الدّروس على الشّيخ بلغ حوالي 25 طالبا، من بينهم الشّيخ أحمد بوزيدي من مدينة صبرة، والشّيخ الأخضر القباطي وشقيقه عبد الحميد من مدينة الغزوات والشّيخ بن عودة منصري من بلديّة وادي الشّولي، وابن صولة من مدينة مغنيّة ومحمّد بابا أحمد ومولاي الحسن البغدادي من تلمسان.[68]

لقد تميز من بين هؤلاء جميعا الدّكتور بومدين الشّافعي،[69] الذي نال درجة الدّكتوراه في علم النّفس بمصر، والذي يعد من أبرز تلامذته الذين هاجروا مبكرا نحو المشرق، ويقول عن أستاذه وفضله على تلاميذ دار الحديث: "نحمد الله الذي أنعم علينا بخير خليفة له، واصل جهاده ونفذ رغبته ورفع صوته، أطال الله عمر شيخنا البشير، لقد عرفت فيه الأب العطوف والوجه الحكيم، وأسأل الله أن يهيئ للجزائر رجالا يتابعون الكفاح العلمي وبث الثّقافة ليكون اسم ابن باديس أساسا قويا لشجرة عاليّة تمتد فروعها وتتحد أوراقها ويعم نفعها..، وأرجو من زملائي تلامذة الدّار الجدد أن يكون لهم أمل كبير في العلم وثقة قويّة بالأستاذ الجليل الذي اتسع صدره لطيشنا في أيام الطّفولة".[70]

لقد أسهم الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في غرس حب تعلم اللغة العربيّة لغة القرآن، ولغة الأجداد، واهتم أكثر بتعليمها بين الصّغار، لأنه كان يعول عليهم في مشروع البناء، لذلك نجده بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يعود الفضل له في تكوين جيل قائد حريص على لغته ما بعد الاستقلال، وكم هم كثر، ويقول الشّيخ البشير الإبراهيمي عنهم في ذلك"..فجهزت منهم كتائب لحرب الأميّة، وجندتهم فجندت أبطالا ...، ونصبتهم، فنصبت منهم أعلام هدايّة للجيل الجديد، وأقطاب تربيّة وتثقيف له..".[71]

وحتى عند مرضه بقي الشّيخ يدافع عن اللغة العربيّة في وجه الإدارة الاستعماريّة الفرنسيّة التي حاولت القضاء عليها، فكانت رسالتّه لها كالتّالي: "..أنا مريض والموضوع طويل عريض، وقد أصبحت بين عاملين، همّ يتجدد وطبيب يتشّدد، وإن حق الضّمير لأوكد عندي من حق الجسد، وليقع الاستعمار أو ليطر فإننا نتعلم لغتنا وديننا، ولو في سمّ الخياط، أو على مثل حدّ الصّراط.". [72]

5- خاتمة: لقد كان للأمّة التّلمسانيّة الحظ الوافر من علم الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي حيث نهلوا من فيض علومه واقتبسوا من أنوار معارفه، ولم يبخل على أحد بالعلم النّافع، فنظم دروسا بالعربيّة للتلامذة الوافدين عليه حسب درجاتهم، كالنّحو والبلاغة والشّعر، والتّفسير والحديث، بالإِضافة إلى المحاضرات في المدارس والمساجد وحتى في النّوادي، وبهذا يكون الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي قد حقق آمال جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وأَحيا بها رسوم العلم بعدما اندثرت في بلد العلم.

6- قائمة المراجع:

الأرشيف:

- الكراس الخاص بدروس الحديث الشّريف في **أرشيف ولايّة قسنطينة**، "ج.ع.م.ج" العلبة1، الملف'ب'، كراس الحديث الشّريف.
- **Archive Municipale de Tlemcen** : Police Municipal de Tlemcen, Rapport N°13988, Tlemcen, 03 -12 -1937..
- **A.M.T** :P.M.T, Rapport N°10030, Tlemcen, 07 -10 -1937.
- **A.W.O**, Bulletin Mensuel D'Information Concernant la Politique Indigène dans le Département d'Oran, N°281, Octobre et Novembre 1937.
- **A.W.O**, L'Activité Indigène dans le Département d'Oran, N°513, juillet 1943.
- **A.W.O**, P.R.G, P.M.T, Rap N°605, Activité du cheikh Taleb Bachir Ibrahimi, Tlemcen 9-10-1944.
- **A.W.O** ،L'Activité Indigène dans le Département d'Oran, N°352, Aout 1944, et N°677, Décembre1944.
- **A.W.O**, Police de Renseignement Généraux,, P.M.T, ، Rapport N°40, Tlemcen, 16-01-1945.

Archive de la Wilaya d'Oran, Sl 6988, 26 Mai1952.

- **Archive de la Wilaya de Constantine**, Boite N°2, Archive Privées, fonds ،Mohamed Ben Ahmed El Mansouri El-Ghassiri,, Dossier N°1, Correspondance Particulières, Lettre le 29-10-1944.

المؤلفات:

- ابن مريم التّلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، طبع ومراجعة محمّد ابن أبي شنب، المطبعة الثّعالبيّة، (الجزائر، 1908)

- أبـو العيـد دودو، **الجزائـر في مؤلفـات الرّحّـالين الألمـان 1830- 1855**، الشّـركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، (الجزائر، 1975)
- أبـو القاسـم الزّيـاني، **التّرجمانـة الكـبرى في أخبـار المعمـور بـرا وبحـرا**، عبـدالكريم الفيلالي، تح، عدار المعرفة للنشر والتّوزيع، (الرّباط، 1991)
- أبـو القاسـم سـعد الله، **تـاريخ الجزائـر الثّقـافي**، ج5- 6- 8، دار البصـائر، (الجزائـر 2007)
- أبو القاسم سعدالله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج2، (دار البصائر، الجزائر)
- أبوحامـد المشـرفي، **طـرس الأخبـار بمـا جـرى آخـر الأربعـين مـن القـرن الثّالـث عشـر للمسلمين مع الكفار في عتو الحاج عبدالقادر وأهل دائرته الفجار**، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة.
- أحمد الخطيب، **جمعيّة العلمـاء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر** المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، (الجزائر، 1985)
- أحمـد توفيـق المـدني، **حيـاة كفـاح مـذكرات**، ج2، ط1، المؤسسـة الوطنيّـة للكتاب، (الجزائر، 1988)
- أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النّهضة، (مصر، د.ت)
- أحمد طالب الإبراهيمي ، **مذكرات جزائري أحلام ومحن 1932- 1965**، ج1 دار القصبة للنشر، (الجزائر، 2006)
- أنـور الجنـدي، **الفكـر والثّقافـة المعاصـرة في شمـال إفريقيـا**، الـدّار القوميّـة للطباعـة والنّشر، (مصر، 1965)
- إيفـون تـيران، **المواجهـات الثّقافيّـة في الجزائـر المسـتعمرة المدارس والممارسـات الطّبّيّـة والدّين1830- 1880**، تر، عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر (الجزائر، 2007)
- تركـي رابـح عمـامرة، **التّعلـيم القـومي والشّخصـيّة الوطنيّـة 1931- 1956** ش.و.ن.ت، (الجزائر، 1975)
- تركـي رابـح عمـامرة، **الشّـيخ عبـد الحميـد ابـن بـاديس رائـد الإصـلاح والتّربيّـة في الجزائر**ط3، ش.و.ن.ت، (الجزائر، 1981)

- تركي رابح، **التّعليم القومي والشّخصيّة الجزائريّة 1930- 1956**، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، (الجزائر، 1975)
- جيلالي صاري، **بروز النّخبة المثقفة الجزائريّة 1850- 1950**، تر:عمر المعراجي منشورات ANEP، (الجزائر، 2007)
- صالح بن عتيق، **أحداث ومواقف في مجال الدّعوة الإصلاحيّة والحركة الوطنيّة الجزائريّة**، مطبعة دحلب، (الجزائر، 1990)
- مازن صلاح حامد مطبقاني، **جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنيّة الجزائريّة 1931- 1939**، تقديم، أبو القاسم سعد الله، عالم الأفكار للنشر والتّوزيع، (الجزائر، 2011)
- محمّد البشير الإبراهيمي، **آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي1929- 1940** جمع وتق، أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج1- 4 دار الغرب الإسلامي، (لبنان 1997)
- محمّد البشير الإبراهيمي، **سجل مؤتمر جمعيّة العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام بنادي التّرقي 1935**، المطبعة الجزائريّة الإسلاميّة، (قسنطينة، 1935)
- محمّد الحسن فضلاء، **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج1- 3، دار هومه (الجزائر 2000)
- محمّد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، ط1، المطبعة التّعاونيّة (بيروت، 1965)
- مرتاض عبد المالك، **نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر1925- 1954** ط2 ش.و.ن.ت، (الجزائر، 1969)
- مرزوق خالدّ، المختار بن عامر، **مسيرة الحركة الإصلاحيّة بتلمسان آثار ومواقف 1907- 1931- 1956**، طبع بمركز التّصوير، (تلمسان، 2003)
- Claude Collot ،**les institutions de l'Algérie pendant la période coloniale 1830-1962**, Edition du CNRS, Paris, O.P.U, (Alger, Sd)
- Fanny Colonna, **Instituteurs Algériens : 1883-1939**, O. P.U, (Alger, 1975)

• Jeanne et André Brochier :**Livre d'ore de l'Algérie- dictionnaire des personnalités passées et contemporaines1937-** , Imp Baconnier frères, (Alger,1937)

• Léon Roches, **Trente- Deux Ans A Travers l'Islam 1832-1864,** T1, Librairie De Firmin- Didot, (Paris.1884)

المقالات:

• **جريدة لسان الدّين**، ع38، 6 أكتوبر 1937.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "العربيّة، فضلها على العلم والمدنيّة، وأثرها في الأمم غير العربيّة"، **مجلة الشّهاب**، مج15، ج1، فيفري1939.

• أبو مدين الشّافعي، "ذكريات من بعيد"، **مجلة العبقريّة**، ع2، ماي 1947.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "اللغة العربيّة في الجزائر، عقليّة حرة ليس لها ضرة" **جريدة البصائر**، ع41، 28 جوان 1948.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "جنايّة الحزبيّة على التّعليم والعلم"، **جريدة البصائر** ع46، 23 أوت1948.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "قادة الجيل الجديد في ميادين العلم"، **جريدة البصائر** ع56، 15نوفمبر 1948.

• أبو مدين الشّافعي، "إلى أستاذي البشير"، **جريدة البصائر**، ع98، 12ديسمبر 1949.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "التّعليم العربي والحكومة"، **جريدة البصائر**، ع65- 74 31جانفي14أفريل1949.

• **جريدة البصائر**، ع172- 173، 15 أكتوبر 1951.

• **جريدة البصائر**، ع218، 20 فيفري 1953.

• محمّد البشير الإبراهيمي، "أنا"، **مجلة مجمع اللغة العربيّة**، مصر، ج21 1966.

• محمّد الصّالح رمضان، "الشّيخ محمّد الغسيري في سطور"، **مجلة الثّقافة**، ع45 جوان- جويليّة1978.

• سعدالله أبو القاسم، "الشّيخ الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإداريّة 1933- 1940"، **مجلة الثّقافة**، الجزائر، ع101، 1988.

- **جريدة البصائر**، ع95، 6- 12 ماي 2002.
- Masse Henri ،« Les études Arabes en Algérie », **Revue Africaine**, N74, 1933.
- Henri Pérès, « L'Algérie vue par deux voyageurs musulmans en 1877-1877 », **Revue Africaine**, N°76, 1935.
- « Enseignement du second degré», **Bulletin de l'Académie d'Alger**, N°01, Novembre 1957.

المداخلات:

- عزالدّين إبراهيم، "رؤيّة مشرقيّة لبعض إنجازات الإبراهيمي وإبداعاته"، **الملتقى الدّولي للإمام محمّد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذّكرى الأربعين لوفاته- الجزائر-** دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006.
- **محادثة مع الشّيخ محمّد شيعلي** –تلميذ الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي- يوم 13- 3- 2007 بمدرسة دار الحديث بتلمسان على السّاعة14:00.

الأطاريح الجامعيّة:

- عبدالرّحمان بن بوزيان، **دار الحديث ودورها في الحركة الإصلاحيّة بتلمسان1937- 1956**، رسالة ماجستير، قسم التّاريخ جامعة الجزائر2، 2013.
- إبراهيم مهديد، **الجزائريون في القطاع الوهراني بين 1900و1940الجدور الثّقافيّة الهويّة الوطنيّة والنّشاط السّياسي**، ج1، أطروحة دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصرجامعة وهران، 1999.
- Mohamed Korso ،**Politique et religion en Algérie ،Le cas de L'association des Oulamas Musulmans Algériens en Oranie 1925-1945Les structures est les Hommes**, T1-2, Thèse de Doctorat, Paris7, 1989.

□

- **الهوامش:**

[1]- أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرّحّالين الألمان 1830- 1855**، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1975، ص13.

[2]- أبو القاسم الزّياني، **التّرجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، عبدالكريم الفيلالي تح، عدار المعرفة للنشر والتّوزيع، الرّباط، 1991، ص147- 148.

[3]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثّقافي**، ج5، دار البصائر، الجزائر، 2007 ص106.

[4]- **أبو حامد العربي بن عبد القادر المشرفي**، عالم جزائري ولد بمعسكر، عاصر نهايّة الوجود التّركي وبدايّة الاحتلال الفرنسي، هاجر إلى المغرب بعد الاحتلال الفرنسي، وقد زار الجزائر بعد هجرته منها مرتين، سنة 1849 و1877، توفي في 1895 .أنظر في ذلك بالتّفصيل، سعدالله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج2، عالم المعرفة، الجزائر صص175- 191، وكذلك

Henri Pérès "L'Algérie vue par deux voyageurs musulmans en 1877-1877", **Revue Africaine**, N°76, 1935, PP259-270.

[5]- أبوحامد المشرفي، **طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثّالث عشر للمسلمين مع الكفار في عتو الحاج عبدالقادر وأهل دائرته الفجار**، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة، الحامة.

[6]- **لاموريسيير كريستوف لويس**La Mercière Christophe-Louis Léon-Juchault، من مواليد نانتNantes، تعلم اللغة العربيّة واللهجات المحليّة، وشارك في احتلال بجايّة، ليترقى إلى رتبة مقدم على إثر الاحتلال الأول لمعسكر، وأسهم في احتلال قسنطينة، وفي 1840 تولى إدارة مقاطعة وهران، أسهم في احتلال جامع الغزوات، ترقى إلى رتبة جنرال 1848، ثم تولى وزارة الحربيّة الفرنسيّة توفي في 13سبتمبر 1865، أطلق اسمه على مدينة أولاد ميمون – تبعد بـ 30كلم شرق مدينة تلمسان- . للمزيد أنظر

Jeanne et André Brochier :**Livre d'ore de l'Algérie-dictionnaire des personnalités passées et contemporaines1937**-, Imp Baconnier frères, Alger, P190.

[7]- **أبي مدين شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي**، هو الولي الصّالح صاحب الكرامات من مواليد إشبيليّة سنة520هـ، تتلمذ على يد الشّيخ ابن حرزهم وعلى الفقيه أبي الحسن بن غالب، وأخذ عن علماء المشرق في رحلته للحج، أين التّقى الشّيخ عبدالقادر الجيلاني وأخذ عنه الصّوفيّة، وقد استدعاه الأمير يعقوب المنصور المريني إلى المغرب بعد عودته إلى بجايّة أين باشر تعليمه، توفي بالقرب من

تلمسان سنة 594هـ، وفي سنة 739هـ/1339 شيد السّلطان المريني أبوالحسن علي بن عثمان بن يعقوب مسجدا قرب ضريحه بالعباد وبعد ثماني سنوات من ذلك شيدت مدرسة بجانب المسجد أخذت اسم أبي مدين، والتي سميت في وقت متأخر بـ"المدرسة الخلدونيّة" نسبة لعبدالرّحمان بن خلدون الذي درّس بها. حول الموضوع راجع: ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، طبع ومراجعة محمّد ابن أبي شنب، المطبعة الثّعالبيّة، الجزائر، 1908، صص108- 114.

[8]- إيفون تيران، **المواجهات الثّقافيّة في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطّبيّة والدّين1830- 1880**، تر، عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007 صص139- 140.

[9]- لقد تكونت نخبة جزائريّة من مدرسين وعلماء في حواضر ثقافيّة وعلميّة مشهورة مثل ترارة التي ينحدر منها سيدي محمّد البوحميدي الذي كان له تأثير على سكان هذه المنطقة وأصبح خليفة على مقاطعة تلمسان في عهد الأمير عبد القادر، ومن أولاد رياح اشتهر فقيه المواريث سي محمّد بن عزة ومن بني ورنيد المفتي سي محمّد بن عبد الله، ومن ندرومة العدل سي محمّد بن قانة. حول الموضوع أنظر إبراهيم مهديد، **الجزائريون في القطاع الوهراني بين 1900و1940الجذور الثّقافيّة، الهويّة الوطنيّة والنّشاط السّياسي**، ج1 أطروحة دكتوراه في التّاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 1999 ص101. وكذلك

-Léon Roches, **Trente- Deux Ans A Travers l'Islam 1832-1864**, T1, Librairie De Firmin- Didot, Paris.1884, P214.

[10]- للتفصيل أكثر ينظر أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر ...، المرجع السّابق**، ج6 ص28- 32.

[11]- مازن صلاح حامد مطبقاني، **جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنيّة الجزائريّة 1931- 1939**، تقديم، أبو القاسم سعد الله، عالم الأفكار للنشر والتّوزيع، الجزائر، 2011، ص35- 36.

[12]- اقتصر تعليمها رسميا من خلال المدارس الرّسميّة الثّلاث في كل من قسنطينة والجزائر وتلمسان، والتي أنشئت بموجب مرسوم 30 جويليّة 1850، حيث أصبحت اللغة العربيّة لغة أجنبيّة وكانت وسيلة تعليمها هي اللغة الفرنسيّة. حول الموضوع ينظر إلى

"Enseignement du second degré", **Bulletin de l'Académie d'Alger**, N°01, Novembre 1957, p78.

[13] -Masse Henri ،« Les études Arabes en Algérie », **Revue Africaine**, N74, 1933, P217.

[14]- تواصل طمس وتدنيس اللغة العربيّة في الجزائر، من خلال مرسوم شوطان الصّادر بتاريخ 8 مارس 1938، الذي أعلنت بموجبه الحكومة الفرنسيّة أن اللغة العربيّة لغة أجنبيّة في الجزائر. للتفصيل أكثر ينظر

Claude Collot ،**les institutions de l'Algérie pendant la période coloniale 1830-1962**, Edition du CNRS, Paris, O.P.U, Alger, p324.

[15]- أنور الجندي، **الفكر والثّقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، الدّار القوميّة للطباعة والنّشر، مصر 1965، ص133.

[16] - Fanny Colonna, **Instituteurs Algériens ،1883-1939**, O. P.U, Alger, 1975 ،p87□

[17]- أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النّهضة، مصر، د.ت، ص141.

[18]- تركي رابح، **التّعليم القومي والشّخصيّة الجزائريّة 1930- 1956**، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1975، ص382.

[19]- حول هذه النّهضة التي عرفتها الجزائر مع بدايّة القرن العشرين عد بالتّفصيل إلى محمّد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، ط1، المطبعة التّعاونيّة بيروت، 1965.

[20]- محمّد البشير الإبراهيمي، "أنا"، **مجلة مجمع اللغة العربيّة**، مصر، ج21، 1966 ص144.

[21]- محمّد البشير الإبراهيمي، **سجل مؤتمر جمعيّة العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام بنادي التّرقي 1935**، المطبعة الجزائريّة الإسلاميّة، قسنطينة، 1935، ص46.

[22]- صالح بن عتيق، **أحداث ومواقف في مجال الدّعوة الإصلاحيّة والحركة الوطنيّة الجزائريّة** مطبعة دحلب، الجزائر، 1990، ص190.

[23]- كتب في البصائر مقال يشكر فيه أستاذه الإبراهيمي من القاهرة، راجع البصائر 12- 12- 1949، ع98، ص5.

[24]- نفسه، ص192- 193.

[25]- أحمد الخطيب، **جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر** المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 1985، ص154.

[26]- محمّد البشير الإبراهيمي، آثار...، ج4، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985 ص- 20- 28.

[27]- أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص156.

[28]- نفسه، ص158.

[29]- تناولت العديد من الأبحاث والدّراسات دور وجهود الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في إحياء اللغة العربيّة، أذكر من بينها محمّد مهداوي، **البشير الإبراهيمي واللغة العربيّة** ماجستير، كليّة الآداب بجامعة دمشق، 1987. محمّد العيد تاورتة، **نثر الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929- 1939**، مذكرة ماجستير، معهد اللغة الآداب والثّقافة العربيّة، جامعة قسنطينة، ج1- 2 1980. عبد الملك بومنجل، **النّثر الفني عند البشير الإبراهيمي**، بيت الحكمة، سطيف، 2009.

[30]- أبو القاسم سعدالله، **تاريخ الجزائر...** ، ج8، المرجع السّابق، ص82.

[31]- مازن صلاح حامد مطبقاني، **المرجع السّابق**، ص101.

[32]- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح مذكرات**، ج2، ط1، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر 1988 ص337.

[33]- **جريدة البصائر**، ع172- 173، 15 أكتوبر 1951.

[34]- **Archive de la Wilaya d'Oran**، Sl 6988, 26 Mai1952.

[35]- **جريدة البصائر**، ع95، 6- 12 ماي 2002، ص2.

[36]- جيلالي صاري، **بروز النّخبة المثقفة الجزائريّة 1850- 1950**، تر: عمر المعراجي منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص9.

[37]- تأسست هذه المدرسة بجهود الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي وجمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، وأبناء تلمسان من علماء، وطلبة، وملاك، وتجار، ونواب بلديون، دامت فترة البناء 18 شهرا تقريبا، افتتحت يوم 27 سبتمبر 1937 بحضور جمع كبير من العلماء الجزائريين وبعض المغاربة كانت بحق مدرسة عربيّة إسلاميّة عصريّة، أغلقتها إدارة الاحتلال سنة 1939م، ثم عادت للنشاط بعد نهايّة الحرب العالميّة الثّانيّة، ليعرف تطورا كبيرا بعدها في عدد التّلاميذ، ونوعيّة ووسائل التّعليم إلى غايّة غلقها النّهائي سنة 1956م. للتفصيل أكثر حول الموضوع ينظر عبدالرّحمان بن بوزيان، **دار الحديث ودورها في الحركة الإصلاحيّة بتلمسان1937- 1956**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، قسم التّاريخ 2013.

[38]- بن عتيق، **المرجع السّابق**، ص 199.

[39]- محمّد البشير الإبراهيمي، محمّد البشير الإبراهيمي، **آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي 1929- 1940**، جمع وتق، أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج1، د.غ.إ، لبنان 1997، ص75.

[40]- محمّد البشير الإبراهيمي، "اللغة العربيّة في الجزائر، عقليّة حرة ليس لها ضرة"، **جريدة البصائر**، ع41، 28 جوان 1948، ص1- 2.

[41] -**Bulletin Mensuel D'Information Concernant la Politique Indigène dans le Département d'Oran**،N°281, Octobre et Novembre 1937, P5-6.

[42]- مرتاض عبد المالك، **نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر1925- 1954**، ط2 الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1969، ص54.

[43] -Mohamed Korso، **Politique et religion en Algérie ،Le cas de L'association des Oulamas Musulmans Algériens en Oranie 1925-1945Les structures est les Hommes**, T1-2, Thèse de Doctorat, Paris7, 1989, P237.

[44]- خلال أحد الدّروس الذي نظم في بدايّة شهر ديسمبر 1937 تم جمع 1.600ف.ف. أنظر **Archive Municipale de Tlemcen** :P.M, N°13988, Tlemcen, 03 -12 -1937.

[45]- محمّد البشير الإبراهيمي، "جنايّة الحزبيّة على التّعليم والعلم"، **جريدة البصائر**، ع46 23 أوت1948، ص2.

[46]- **سورة الشّعراء**، الآيّة 193،194،195.

[47]- تركي رابح عمامرة، **التّعليم القومي والشّخصيّة الوطنيّة 1931- 1956**، ش.و.ن.ت الجزائر 1975، ص167.

[48]- تركي رابح عمامرة، **الشّيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتّربيّة في الجزائر** ط3 ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص375.

[49]- سعدالله أبو القاسم، "الشّيخ الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإداريّة 1933- 1940" **مجلة الثّقافة**، الجزائر، ع101، 1988، ص90- 91.

[50] -**A.M.T** :P.M, N°10030, Tlemcen, 07 -10 -1937.

[51]- محمّد البشير الإبراهيمي، "العربيّة، فضلها على العلم والمدنيّة، وأثرها في الأمم غير العربيّة" **مجلة الشّهاب**، مج15، ج1، فيفري1939.

[52]- عزالدّين إبراهيم، "رؤيّة مشرقيّة لبعض إنجازات الإبراهيمي وإبداعاته"، **الملتقى الدّولي للإمام محمّد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذّكرى الأربعين لوفاته- الجزائر-** ، دار الغرب الإسلامي بيروت، 2006، ص155.

[53]- أحمد طالب الإبراهيمي، أحمد طالب، **مذكرات جزائري أحلام ومحن 1932- 1965** ج1 دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص25- 26.

[54]- الشّيخ البشير الإبراهييمي، سجل مؤتمر...، مصدر سابق، صص57- 59.

[55]- **L'Activité Indigène dans le Département d'Oran**, N°513, juillet 1943, P3.

[56]- تجددت الجمعيّة الدّينيّة لدار الحديث خلال جانفي 1945، وعين فيه بن قلفاط الغوتي بوصالح عبدالسّلام، بن دي مراد العربي، بريكسي الحاج عبدالله، بابا أحمد علي، بخشي الحاج غوتي، بوعياد العربي، بخوشة محمّد. أنظر بالتّفصيل

A.W.O،Rap de P.R.G, P.T, N°40, Tlemcen, 16-01-1945.

[57]- **A.W.O**،P.R.G, P.T, Rap N°605, Activité du cheikh Taleb Bachir Ibrahimi, Tlemcen 9-10-1944.

[58]- **محادثة مع الشّيخ محمّد شيعلي** –تلميذ الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي- يوم 13- 3- 2007 بمدرسة دار الحديث بتلمسان على السّاعة14:00.

[59]- تتضمن دروس الحديث الشّريف شرح الحديث وتعريف الرّاوي، وقد كان عادة يتم اختيار الأحاديث القصيرة حول المسائل الفقهيّة من عبادات ومعاملات مثل :"إنما الأعمال بالنّيات وإنما لكل إمرئ ما نوى". راجع بالتّفصيل الكراس الخاص بدروس الجديث الشّريف في **أرشيف ولايّة قسنطينة** "ج.ع.م.ج"، العلبة1، الملف'ب'، كراس الحديث الشّريف.

[60]- مرزوق وبن عامر، المصدر السّابق، ص243.

[61]- محمّد البشير الإبراهيمي، آثار..، المصدر السّابق، ج3، ص283.

[62]- محمّد المنصوري الغسيري، 1919- 1974 ولد في دشرة أولاد منصور من دوار غسيرة بأريس أتم حفظ القرآن في قريته ثم انتقل إلى بسكرة وانظم إلى مدرسة الإخاء ما بين 1929- 1931 لينتقل بعدها إلى الجامع الأخضر بقسنطينة، وانتظم بعدها في سلك طلبة الشّيخ ابن باديس إلى غايّة 1938، ثم انخرط في سلك كشافة الرّجاء إلى أن عين باسم الكشافة الجزائريّة مرشدا عاما وأصبح عضوا في لجنة التّعليم العليا لـ"ج.ع.م.ج"، ثم مفتشا جهويا، ثم مفتشا عاما في العمالات الثّلاث، ألقي القبض عليه في 16 ماي1945 تنقل بين سجن الكديّة والحراش، ومنه نقل إلى معتقل جنين بورزق جنوب عمالة وهران، ليفرج عليه نهائيا في 27 مارس1946 عائدا منه إلى قسنطينة. راجع

عنه محمّد الحسن فضلاء **المرجع السّابق**، ج1، صص279- 286. وكذلك محمّد الصّالح رمضان، "الشّيخ محمّد الغسيري في سطور"، **مجلة الثّقافة**، ع45، جوان- جويليّة1978، صص105- 107.

[63]- أسهم الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي في صائفة 1944 إسهامات فعالة في تنظيم المخيم الفدرالي الأول للكشافة الاسلاميّة الجزائريّة المنعقد بتلمسان ما بين 23- 30 جويليّة 1944 بهضبة لالة ستي، وخلال شهر نوفمبر غادر الإبراهيمي إلى العاصمة ليعود بعدها في 21 ديسمبر إلى تلمسان، وقد تعب الشّيخ الإبراهيمي كثيرا من كثرة التّنقلات بين العمالات، وإشرافه على الحركة الإصلاحيّة بالعمالة الوهرانيّة وحرصه على التّدريس بدار الحديث. أنظر

A.W.O ،A.I.D.O, N°352, Aout, P3. et N°677, Décembre1944, P3.

[64]- **A.W.C** :Boite N°2, Archive Privées, fonds ،Mohamed Ben Ahmed El Mansouri El-Ghassiri, , Dossier N°1, Correspondance Particulières, Lettre le 29-10-1944.

[65]- **جريدة لسان الدّين**، ع38، 6 أكتوبر 1937، ص3.

[66]- أحمد بري، ولد في مدينة مغنيّة سنة 1922، حفظ القرآن الكريم وعمره 17 عاما على يد الشّيخ الأخضر منصوري من 'جبالة' بلديّة ندرومة، تم واصل تعليمه بدور المعازيم بلديّة مغنيّة، درس على يد الشّيخ البشير الإبراهيمي بدار الحديث، وخلال الحرب العالميّة هاجر إلى المغرب واستقر بمدينة تازة، وبعد نهايّة الحرب عاد واشتغل بمدرسة التّربيّة والتّعليم بمغنيّة إلى غايّة أكتوبر 1945 بعد إلقاء القبض عليه. للتفصيل أكثر أنظر محمّد الحسن فضلاء، **المرجع السّابق**، ج3، صص175- 179.

[67]- **نفسه**، ص176.

[68]- **نفسه**، ص177.

[69]- ولد بتلمسان، واكب منذ صغره المجالسّ العلميّة للشيخ بوعروق في جامع سيدي الجبار، وحضر أيضا مجالسّ الشّيخ الإبراهيمي، تم اواصل تعلمه بجامع الشّرفاء، ثم انتقل إلى مدرسة ديسيو الفرنسيّة إلى أن وصل إلى درجة شهادة البكالوريا، فتقدم إلى امتحانها في صيف 1938 وبسبب اختياره للغة العربيّة كلغة أجنبيّة، وقد وقعت محاورة عنيفة بينه وبين مدير الثّانويّة، وسافر إلى القاهرة لإتمام دروسه لينال شهادة الدّكتوراه في علم النّفس، ألقى عدة دروس في كليّة الطّب والآداب بجامعة فؤاد الأول بمصر، للتفصيل أكثر أنظر أبو مدين الشّافعي، "ذكريات من بعيد"، **مجلة العبقريّة**، ع2 ماي 1947، صص45- 48. وكذلك **جريدة البصائر**، ع218، 20 فيفري 1953، ص 5.

[70]- أبو مدين الشّافعي، "إلى أستاذي البشير"، **جريدة البصائر**، ع98، 12ديسمبر 1949 ص5.

[71]- محمّد البشير الإبراهيمي، "قادة الجيل الجديد في ميادين العلم"، **جريدة البصائر**، ع56 15نوفمبر1948، ص1.

[72]- كتب الشّيخ مجموعة من المقالات في صفحات جريدة البصائر حول واقع تعليم اللغة العربيّة في الجزائر والعراقيل الإداريّة القمعيّة في حق معلمي اللغة العربيّة في مدارس جمعيّة العلماء المسلمين. عد بالتّفصيل إلى مقالاته تحت عنوان "التّعليم العربي والحكومة"، **جريدة البصائر**، ع65- 74 31جانفي14أفريل1949.